المطلب الرابع

أثر الوقف على أسلوب الكتابة والتأليف والتحقيق

لا شك أن العلم يزكو بالبحث والمدارسة والنشر، وتلك العمليات تحتاج إلى من يوقف عليها فالعلوم أياً كانت طبيعتها لا تتقدم إلا بدعمها، وتشجيع من يبحث فيها، ويتدارسها بالشرح والتحليل عبر الكتابة والتأليف.

والتاريخ خير شاهد على ذلك، فالمسلمون لم يتقدموا في مجال العلوم النظرية والتطبيقية إلا من خلال تشجيع العملية التعليمية ودعمها بالدعم اللازم، والإنفاق السخي على العلماء والطلاب ودور العلم، وقد كان للوقف الإسهامات الأساسية في هذا المجال، مما أدى إلى ازدهار التعليم، وتوفر الكثير من العلماء في المجالات المختلفة على الكتابة والتأليف، خاصة في مجال العلوم الشرعية التي تعد من أهم العلوم لأهميتها في حياة المسلمين، وهذا لا يقلل من أهمية العلوم الأخرى التي تفيد الدعوة الإسلامية منها جميعاً.

إن مما ينبغي التأكيد عليه في هذا الصدد: أن الكتابة والتأليف ماكان لها أن تزدهر إلا من خلال دعم الوقف لها، وتشجيع العلماء على التفرغ لهذا الأمر، مما كان له أعظم الأثر في وجود هذا التراث العلمي الذي أفاد منه المسلمون وغير المسلمين في شتى العلوم، وكل ذلك كان نتيجة للدعم السخي الذي قدمه الوقف.

لقد ساهم المسلمون في تشعب المعرفة وتطورها وفي تأليف الكتب، وصناعة الورق من خلال إيقافهم العديد من الأوقاف على المكتبات التي يسَّرت العلم للراغبين فيه دون نفقات؛ حيث ساهمت الأوقاف في انتشار العلم، عن طريق دعم عملية الكتابة والتأليف، وقد شمل الوقف نسخ المخطوطات في عصور ماقبل الطباعة، ولأهمية الكتاب في عملية التعليم اهتم الواقفون على المدارس بتوفير أكبر قدر من الكتب المشتملة على المعارف المختلفة، حيث خصص لها جزء كبير من ريع الأوقاف، ثم أخذت هذه الكتب تزداد، من خلال إيقاف العديد

مـــن المحسنين سواءً من مؤلفاتهم الخاصة أو من شرائهم للكتب وإيقافها" [1] الأمر الذي شجَّع العلمـــاء على الكتابة والتأليف في فروع العلوم المختلفة خاصة العلوم الشرعية لسد احتياجات دور العلم والمساجد.

"لقـــد أســـهمت الأوقاف إسهاماً كبيراً في تأليف بعض الكتب، ومن أشهر المؤلفات الطبية التي مولت بالأوقاف كتاب "الكليات في الطب" لابن رشد الذي ترجم وأصبح الكتاب الأساس لتعليم الطب في أوروبا وغير ذلك من الكتب.

ولقـــد خصص بعض الواقفين أوقافاً على إنشاء معامل لصنع الورق لطباعة الكتب، أما في طباعة الكتب فقد أسهمت الأوقاف في طباعة عدد من الكتب، وخاصة بعد ظهور المطابع وانتـــشارها، ولعل من أبرز الجهود في طباعة الكتب ما قام به الملك عبد العزيز -رحمه الله- من طباعة الكتب في العقيدة والتفسير والحديث والفقه والتاريخ وغيرها.

وبالنـــسبة للوقف على أسلوب الكتابة والتأليف توجد أوقاف لتمويل ذلك مثل وقف الأمـــير عـــبد المجيد بن عبد العزيز آل سعود الذي يتمثل في إنشاء مركز للبحوث والدراسات المتعلقة بالمدينة المنورة وتشغيله وإدارته ومن مهام هذا المركز مايلي:-

١-جمع المعلومات عن المدينة المنورة في اللغات المختلفة ومن مختلف المصادر والمراجع.

٢- القيام بالبحوث والدراسات ذات الصلة بالمدينة المنورة.

٣- تقديم الخدمات المعلوماتية الموثقة للجامعات ومراكز البحوث والباحثين.

٤- إنشاء مكتبة مختصة.

٥- إنشاء وحدة للحاسب الآلي.

٦- إقامة العلاقات التعاونية مع مراكز البحوث الأخرى.

---

(١) انظر: دور الوقف في العملية التعليمية -د. عبد الله بن عبد العزيز المعيلي ص١٩-٢٠.

٧- إصدار الكتب والنشرات ذات العلاقة بمهمة المركز" [١].

إن أسلوب الكتابة والتأليف من الأساليب المهمة في الدعوة إلى الله تعالى، لأن الدعوة لا تقتصر على الإفادة من علم معين، بل تفيد من كافة العلوم، لذا فإن دعم التأليف والكتب بالوقف عليهما سيكون له الأثر الكبير في خدمة الدعوة إلى الله تعالى وتفعيلها في هذا العصر، لأن دعم التعليم من خلال تشجيع البحث والتأليف، مما يساعد على تقدم المجتمع، ويدخل أيضاً في أسلوب الكتابة والتأليف أسلوب التحقيق والتخريج، وهذا مما يخدم الدعوة إلى الله تعالى فكم من المخطوطات المطمورة في بطون المكتبات والتي تحوي العلم النافع، إلا أنها بحاجة إلى من يقتنيها ويقوم بتحقيقها وتدقيقها وتمحيص مضامينها، وتوثيق نصوصها التوثيق السليم من المصادر الصحيحة، ولا شك أن مثل هذا العمل يحتاج إلى مبالغ مالية كبيرة لتأمين احتياجات التحقيق من بحث عن النسخ الأصلية وشرائها، والإنفاق على من يقوم بهذا العمل العلمي الذي يفيد الناس، وغير ذلك من متطلبات التحقيق، وهذا بالطبع من أبواب تفعيل الدعوة إلى الله من خلال الإفادة من هذه المخطوطات النافعة.

وإن عملية خدمة كتب السنة وكتب الفقه وغيرها من العلوم الشرعية، من أبواب الخير التي ينبغي الإيقاف عليها، والإنفاق على من يقومون بتمحيصها وتدقيقها ومراجعتها، وكل ما يدخل في إخراجها في صورة صحيحة تنفع الناس، فذلك من الأمور التي ينبغي التنافس فيها.

---

(١) انظر: الوقف والبحث العلمي-د. ناصر بن ابراهيم التويم ص١٧-٢٠-ط١-١٤٢٠هـ- ندوة مكانة الوقف وأثره في الدعوة والتنمية- مكة المكرمة١٨-١٩ شوال ١٤٢٠هـ.

- الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز- خير الدين الزركلي ص٣٣٩-ط٧-١٩٩١م- دار العلم للملايين- بيروت.

الدور الاجتماعي للوقف-د. عبد الملك أحمد السيد ص٢٨٠ ومابعدها.